

نفحات القرآن

[60] * * * 15 - المعرفة مفتاح نجاة الإنسان: (قُلْ إِنَّمَا أَعِطْتُكُمْ بِوَاحِدَةٍ
إِنِّ تَقُومُوا ۖ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُونَ) (سبأ / 46) إن خطاب الرسول
(صلى الله عليه وآله وسلم) في هذه الآية موجه لأعدائه المنغمسين في الكفر والشرك، ومختلف
أنواع الفساد الاخلاقي. وقد بيّن لهم ان مفتاح نجاتهم من هذا المستنقع الخطر هو التفكير
والتفكير الذي هو طريق وسبيل للمعرفة. ولهذا السبب بالضبط ينبغي البحث عن جذور أي ثورة
وأي تحول أساسي في المجتمعات البشرية في ثوراتهم الفكرية والثقافية. فلو كانت المعرفة
غير ممكنة فلماذا التفكير؟ الخصوص بعد حصر الموعظة بالتكفر وذلك باستعمال "إنما"، وهنا
يثبت أن مفتاح النجاة هو المعرفة فقط! لكن هذا التفكير - جماعياً كان أو فردياً - ينبغي
أن يكون متزامناً مع القيام بالعبادة وفي سبيله، ولهذا يقول (إِنِّ تَقُومُوا ۖ) أي بعيداً عن
التعصب والعناد، والهوى النفساني الذي سيأتي شرحه في موانع المعرفة انشاء الله. وقد أكد
النبي يوسف (عليه السلام) على هذا الموضوع، وقال عند جلوسه على عرش السلطة في مصر:
(رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَظَّمْتَ نِيَّتِي) (تأويل الاحاديث - فاطر -
السموات والارض - انزلت ولي في الدنيا والآخرة - توفاني مسلماً
والاحقني بالصلاحين) (يوسف / 101)